هو الربّ

الأب نجيب إبراهيم

كان الايمان بقيامة يسوع من بين الاموات النور الذي حوّل قناعات الرسل بشكل جذري، فاعترفوا به رباً واحدا. وبذلك عبّروا خير تعبير عن إيمانهم بألوهية يسوع المسيح الانسان. ذلك أنّ هذا اللقب "الرب" كان المرادف لاسم الله في العهد القديم. فاليهود لا يلفظون الاسم الالهي "يهوى" بسبب قداسته، وينادونه "أدوناي" أي "الرب". الله هو الرب. وباعطاء هذا الاسم ليسوع، ينوّه العهد الجديد عن ايمان الكنيسة بألوهية المسيح. اما كلمة الرب في العالم اليوناني والروماني فكانت تعني السيد صاحب السلطة الشرعية على عبيده. وفي منتصف القرن الاول بعد المسيح صار الأباطرة الرومان يُلقّبون بهذا اللقب، أمثال نيرون: »ربّ الكون« ودوميسيانو الذي حكم روما بين سنة ٨١ و ٩٦ للميلاد: «ربّنا وإلهنا»! لذلك اعتقد بعض مفسري الكتاب المقدس أنّ لقب المسيح "الرب" (كيريوس في اللغة اليونانية) كان بمثابة ردة فعل من الجماعة المسيحية من أصل يوناني، فرفضوا السجود لتماثيل الاباطرة معلنين ايمانهم بيسوع الرب. أما اليوم باستطاعتنا التأكيد أنّ هذا اللقب كان قد استُعمل أولاً في الجماعة المسيحية الاولى في الارض المقدسة، في فلسطين، وهو قديم قِدم الكنيسة. آمن التلاميذ بقيامة المسيح فصار الربَّ الجالس عن يمين الآب كما يقول المزمور (١١٠). والاسلوب الاكثر بلاغة للكلام عن المسيح بالنسبة لبولس هو لقب الرب. هذا هو الايمان الرسولي الذي تنقله الكنيسة بالبشارة والايمان فينال الانسان حرية ابناء الله باتبّاع المسيح الرب. فينتقل بالعماد من العبودية لسيد هذا العالم الى سيادة المسيح المطلقة التي تحرره وتمنحه ميراث القديسين في النور (راجع قولس ١ : ١٢-١٤). أما الاعتقاد بأننا نستطيع أن نكون مسيحيين ونعطي حريتنا لاكثر من سيد في هذا العالم، لننال بعضاً من خلاص، نكون قد ابتعدنا عن الايمان الرسولي، فنخسر ايماننا وملء الحياة بالمسيح.

في رسالته الى أهل قولسي، يحضّ القديس بولس المؤمنين على الثبات بالايمان قائلا: «فكما تقبّلتم الربّ يسوع المسيح، سيروا فيه» (قولسي ٢ : ٦). درب الحياة هو الإيمان بسيادة المسيح

المطلقة: وحده يسوع هو الرب.

«فكما تقبّلتم» يقول كاتب الرسالة. وبهذا يعني فعل القبول من شخص الى شخص، من الرسل الى أهل قولسي على سبيل المثال، من المؤمن بالبشارة الى غير المؤمن. بهذه العبارة البسيطة يدلّ القدّيس بولس على ديناميكية التقليد في حياة الكنيسة. الكنيسة الرسولية، اي المؤسسة على إيمان الرسل، تنقل الايمان الرسولي من جيل الى جيل بالبشارة.

ولكنّ الرسل يشكلّون حلقة فريدة في تاريخ الخلاص، لأنّهم شهود القائم من بين الأموات. معه عاشوا، ومنه تعلّموا الانجيل وتلقوا الرسالة. ومع أنّ بولس لم يكن من جماعة الاثني عشر، اختاره الله ليكون من عداد الرسل، شاهدا للقيامة، ورسولا للامم. قَبِل الانجيل بوحي من يسوع المسيح.

ففي الرسالة الى أهل غلاطية، يقول القديس بولس:

«فأذكّركم، أيها الأخوة، أنّ البشارة التي بشّرتكم بها ليست على سنّة البشر، لأنّي ما تلقّيتها ولا أخذتها عن إنسان، بل عن وحي من يسوع المسيح» (غل ١ : ١١-١٢).

نذكر سيرة اهتداء القديس بولس، وكيف ظهر له يسوع القائم من بين الأموات على طريق دمشق، فصار اللقاء نقطة تحول جذرية لبولس الغيور، لا بل آية من آيات الله الكبرى في تاريخ الخلاص:

«ولكن لمّا شاء ذاك الّذي اصطفاني مُذ كنت في بطن أمّي فدعاني بنعمته وكشف ابنه فيَّ لأُبشّرَ به الوثنيين، لم أستشر اللحم والدم ولا صعدت إلى أورشليم لألقى من تقدّمني من الرسل، بل ذهبتُ من ساعتي إلى ديار العرب، ثمّ عدتُ إلى دمشق». (غل ١ : ١٥-١٦).

دعاه الله، والدعوة لقاء مع القائم من بين الاموات، ليصبح البشرى السارة لكل البشر.

دخل الله في حياة مختاريه ليكشف عن ذاته، عن إبنه الحبيب، هدف الوحي الوحيد. قَبلَ الرسل الوحي بطريقة فريدة، لأنّهم المختارون ليكونوا شهود القائم من بين الأموات. بينما يدخَل يسوع في حياة الناس من خلال بشارة الرسل، لينتقل الايمان من الرسل الى جميع الناس. أما موضوع الايمان الوحيد هو يسوع المسيح الرب. لا يتعلّق قبول الايمان بسيرة يسوع التاريخية فقط، فأصدّق ما تعلّمته من أقواله وعجائبه. الايمان هو قبل كلّ شيء قبول يسوع المسيح ابن الله في عمق حياتي، سيدا واحدا، يقودني على درب السعادة، الى ملء الحياة. إنّه ربّي وأنا له.

»فكما تقبّلتم الربّ يسوع المسيح، سيروا فيه«.

موضوع الايمان الرسوليّ الوحيد هو إذا يسوع المسيح الرب. هو وحده الرب، ولا يمكن الاعتراف بسيادة مطلقة أخرى في حياة المسيحي:

«وقد يكون في السّماء أو في الأرض ما يُزعم أنّهم آلهة، بل هناك كثيرٌ من الآلهة وكثير من الأرباب، وأمّا عندنا نحن، فليس إلّا إلهٌ واحد وهو الآب، منه كلُّ شيء وإليه راجعون، وربٌّ واحدٌ هو يسوع المسيح، به كان كلّ شيء وبه نحن قائمون» (١قورنتس ٨ : ٥-٦).

المسيح إذا هو سيد الكون والتاريخ ورأس الكنيسة جسده، وكلّ رؤية أخرى للكون هي تعليم

بشري لا يأتي من الله ولا يقود الى الحياة، بل الى الضياع وبالتالي الى الموت. يتابع القدّيس بولس إرشاده قائلا :

«سيروا فيه، متأصّلين فيه ومتأسّسين عليه ومعتمدين على الإيمان الذي تقبّلتموه وفائضين شكرا. إيّاكم أن يأسركم أحد بالفلسفة، بذلك الخداع الباطل القائم على سنّة البشر وأركان العالم، لا على المسيح» (قولسي ٢ : ٧-٨). لم يكن المسيح بالنسبة لدعاة الفلسفة الباطلة الرب الأوحد، لانهم كانوا يلتجأون الى أركان العالم لتفادي الشرور ونيل الخلاص. كما نجد اليوم من يدعو الى السعادة وتحقيق الذات بواسطة أفكار بشرية باطلة.

أما المسيحي لا يمكن أن يسير سوى برعاية الرب الاوحد، يسوع المسيح. من ينشد كمال الحياة لا يجد مبتغاه سوى فيه :

«ففيه يحلّ جميع كمال الألوهية حلولا جسديا وفيه تكونون كاملين» (قولسي ٢ : ٩)

«قد استكنّت فيه جميع كنوز الحكمة والمعرفة» (قولسي ٢ : ٣).

السير في رعاية السيّد يعني أن نحيا بالطاعة له، ونشعر في أعماقنا أننا له وحده. فلا يهنأ لنا عيش سوى بالاتحاد به، بسر موته وقيامته. هذا هو عمادنا :

«ذلك أنّكم دُفنتم معه بالمعمودية وبها أيضاً أقمتم معه، لأنّكم آمنتم بقدرة الله الذي أقامه من بين الأموات» (قولسي ٢ : ١٢). من الجدير بالذكر أنّ الرسالة الى أهل قولسي تجعل من الاتحاد مع المسيح اتحادا تاما بسرّه الفصحي. لا نموت معه بالمعمودية، وحسب، بل نقوم معه ايضا، ليصبح اتحادنا به كاملا. بجلوسه عن يمين الآب لا يبتعد المسيح بقداسته عنا، بل يصبح قريبا إلينا ويقدّسنا بالاسرار وبكلمة البشارة وبالمحبة الاخوية، رباط الكمال (قولسي ٣ : ١٤). لذلك لا يسع المؤمن سوى شكر الله على هباته فلا يبحث عن خلاص بعيدا عنه، كما يعلّمنا الروح القدس في الرسالة الى أهل قولسي : «كونوا شاكرين» (٣: ١٧ وراجع : ١ : ٣ و١٢؛ ٢ : ٧؛ ٣: ١٥ و٤ : ٢).

أشكرك أيها الآب بابنك الحبيب، ربّنا يسوع المسيح
به منحتني الحرية
ونجّيتني من سلطان الظلمات.
به الحياة وله
فأتوق إليك بكليتي
شدّد إيماني لاحمدك باسمه
من أجل الانتصار على أركان هذا العالم، على الخطيئة والموت.
نعم يا إلهي، انتصر ابنك على الموت
فأذاقني معه طعم الانتصار
وبه حلّ السلام في العالم.